

الصنائع الإسلامية

تابع ما قبله

إذا أطلق انظر النقش عند المسلمين فلا ينبغي ان يفهم منه انه يراد به تمثيل صورة ذات روح بل قد تكون تلك الصور نقوشاً يراد بها أمر آخر . ومما يجب له انه يوجد في هذا الكتاب الوجيز اشارة ضعيفة لصورة فارس يمسك رمحه بيده . نقش على القبة في مسجد بغداد . ولم يزد الماسيو ميجون بان هذا الفارس يشير الى الناحية التي يجي منها الهواء . فكان هذا التمثال ضرباً من دوائر على الهواء صنعت من الحديد المصنوع وجعلت في الهواء تمثل فارساً والرمح بيده وقد ذكروا أسطورة بشأنها . فكان العامة يعتقدون ان هذا الفارس يدل بقوة تعويذة معه على الناحية التي نشأ فيها ثورة من مملكة الخلفاء العباسيين وليس النقش عند المسلمين الا خادماً خاضعاً للهندسة على نحو ما كانت الفلسفة من علم الكلام في القرون الوسطى . والاسود التي رآها ابن بطوطة قد صنعت من الرخام المستخرج من افروجيا « فرجيا » في آسيا الوسطى حيث بكثرت فيها . وبلغ من احترام السلاجقة للنقش ان كانوا ينزلونه في الحوائط . وليس للتأثيل من الخشب التي صنعها صنائع من المسلمين بأمر الطولويين علاقة بالصنائع الإسلامية بل هي فرع متأخر من فروع الصناعة الوطنية . وقد بدأت في مصر صناعة النقش للزينة باستعمال النكس والرخام غير المسحوق بالآلة بل بيد صنع الايدي . واقدام ما وجد من ضررها شكل مهندس مزوج بعروق خيالية خرافية . اما الحجر للزينة فقلما يوجد الا في المساجد التي يرد عهدها الى القرن الرابع عشر وعلى العكس في اسبانيا فانا نرى هذه الصناعة مزهرة فيها منذ اوائل الخلافة الاموية .

وقد بقي لنا شاهد واحد منها وهو مفسل الوضوء المصنوع من الرخام ولا يزال محفوظاً الى الآن في متحف الآثار في مدريد . وجرت الرخام وحوض الاسود في قصر الحمراء معروفان موصوفان . الا ان تزئين المصانع ما كان الا من الجبس موضوعاً في القوالب وضعاً محكملاً مما يبدو في هيئة بديعة تفوق اجمل نموذجات الهندسة . وان قصر الحمراء على جماله لم يعمل الا من مجنون الجبس .

لا يأخذنا العجب اذا رأينا السجوقيين في آسيا الوسطى قد ابقوا الناصوراً تمثل الصورة الانسانية . ولئن كان المهندسون في زمنهم سوريين او روميين فان الافكار السائدة في الاطراف قوية ان منشأها ايراني زادت انتشاراً بما كان لشمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي الصوفيين العظميين من النفوذ وكان الاول صاحب السر والثاني مؤسس طريقة

الدراويش المولوبة . وكان سلاطين الملجوفيين مهوسين أشد النهوس بكل ما هو من أصل فارسي حتى أنهم كانوا يدعون أبناءهم بأسماء استعرجوها من قصص الإبطال في الملأحم . وظلت الصناعة التي انتشرت بهذا التأثير محصورة في آسيا الصغرى ولم تنتشر في سائر البلاد الإسلامية .

أخذت العرب صناعة الفسيفساء عن البيزنطيين فاستجلب من الاسنانة الخليفة عبد الرحمن الى قرطبة صناعات من الروم ليزين مسجدها . وخير الوليد ملك القسطنطينية ليبحث اليه بالعملة والمواد اللازمة لتزويق المسجد الأموي في دمشق وهي كنيسة القديس يوحنا الدمشقي القديمة . تغير هذا المسجد ولم يبق منه حريق سنة ١٨٩٣ م كان سلم من آثاره . وفي سنة ١٨٤٨ هـ (١٠٢٧ م) جرى اصلاح فيفساء قبة الصخرة كما قرأت ذلك في الصورة التسمية من الصفحة الثالثة والثلاثين من الجزء الثاني والرسم ٧٣ . وقد كسي داخل المصانع الإسلامية في القاهرة بأنواع من الزينة صنعت من الرخام على أبهى صورة وازهاها .

ان ما يرى في مصر من الخشب المنقوش لا يتأق الا ان يكون مجلوباً من سورية او من آسيا الصغرى . وعلوم ان في مصر صناعة خاصة بها لا يرى لها اثر في غيرها من الاقطار الا وهي صناعة المشريات وهي افصاص نوافذ على طنف بارزة بحيث تكون للنوافذ التي تطل على الشوارع افصاص ثلاثا يتطلع الى ما وراءها متطلع ولو بدون قصد . من اجل هذا يستعمل القوم « شعريات » من افصاص خشب رقيق . وفي مصر يستعمل خشب غليظ حُرط بالخرطة وجعل على صورة بئفن فيها كل التفنن . وفي التحف العربي في القاهرة حشوات منقوشة غاية في الجمال ومن جملتها ثلاثة محارب توفى الميسو راقيس على البحر فيها وهي من عهد الفاطميين . وقد كانت الحشوات في القرن الثالث عشر اصغر مما هي الآن وخطوطها ادق واشكالها اكثر تنوعاً وصورها التزويق مطلقاً . وصورت على ابواب البيمارستان القلاووني صور ذات ارواح . والفرق ظاهر بين طريقة هذه المصانع في الصنع والحشوات التي جعلت على القبور الفارغة في ذلك العهد والصورة العامة مربعة في هذه وذات خط مستدير في ابواب البيمارستان . ويتجلى الفرق الانظار بالمقابلة بين النقوش الصغيرة التي وردت في صفحة ١٠٠ و ١٠١ الموضوعه احدها بجانب الاخرى . فان الحشوات صنعت عربية مصرية اما الابواب فصنعة فارسية . ومن هنا انت الصور ذات الارواح . وظاهر انه كان في ذلك العهد في القاهرة طريقة فارسية في النقوش جاءت زيادة على ما كان فيها من الصناعة الوطنية وليس ذلك من ارتقاء الصناعة المحلية كما لاحظ ذلك الميسو

ميجون . وارى انه لم بين رأيه على صورة باثة كافية وان شئت فقل على صورة ظاهرة . المتبر
في المسجد من المواد التي لا يستغنى عنها فنه ما يبنى بالحجر مثل منبر مسجد برفوق في
الصحراء بالقرب من القاهرة . ومن العادة ان يعمل المتبر من الخشب . وقد عرفت من
الناظر نموذجات بدیعة كنبر مسجدین طولون الذي امر ببنائه احد سلاطين المماليك السلطان
لاجين ولا تزال حشواته المعمدية منحوتة في لندرا ومثل منبر فايتباي ومسجد علاء الدين
الاول قاي قوباد في قونية وجامع الزيتونة سيفي تونس وغيرها . وهناك شيء آخر
خاص بمساجد مصر واعني به الكرسي او الخزانة المسدسة الزوايا والاضلاع كانوا يضعون
عليها المصاحف للتلاوة فاذا فرغوا خبئوها في داخلها لو كانت حشواتها مزينة بتطعيم (تنزيل)
من العاج ومن خشب ملون .

وبوضع المتحف في المساجد العثمانية مفتوحا او مطبوقا على دعامه تطبق على شكل
تسمى «رحلابة» . وقد فات المسيو ميجون ان يذكر هذا المتاع الذي يعمل من خشب الجوز
المتين ويطعم بأشكال من عرق اللؤلؤ والعاج (صنع الاستانة) على غط الاخونة الواطئة
التي يقال لها « اسككة » .

وفي اسبانيا اجمل نموذجات من النقش على العاج اخذها المسلمون عن الغوط الغربيين
ولم يستطع احد ان يوفق بين معامل هذه الصناعة وسرا كراخاجها بل ثبت من نقص
هذه الصنوعات التي لا تزال محفوظة بكية وافرة انها صناعة محكمة تدل على فرط مهارة
فنية لقلبت عليها الاحوال باهوالها ومنها الشرقي ومنها البيزنطي . والواحان البديعان من
العاج اللذان لم يبرح محفوظين في مجموعة كاران في تحف بارجلو في فلورنسة هما من اصل يختلف
احدهما عن الآخر ولا تعلم من امرها شيئا يذكر . بيد ان السور والاسود المرسومة على اللوحين
هي من اصل اشوري وقد رسمت عليهما رسما دل على مهارة تحملنا على المقارنة بينها
وبين نحاس الموصل وشواطيء دجلة حيث بقيت التقاليد الصناعية القديمة محفوظة بحالها
خلال القرون الوسطى .

اما الصياغة فقديم العهد رأى الشاعر الرحالة الفارسي ناصر خسرو في مدينة صور
ثريات من الذهب والفضة وفي القدس ابوابا مغطاة بالواح من النحاس بدیعة الصنع وفي
القاهرة عرش المستنصر الفاطمي معمولا من الذهب والفضة الخاصة وقد نقشت عليه كتابات
وصورت صور يد ونقص . وان سقط العاج في كنيسة بابو (فرنسا) الملبسة بالفضة
المقورة (المخزومة) واسقاط كنيسة كوار (سويسرا) وسان سيرفي (فرنسا) وما استرخت
(هولاندة) وسان مارك في البندقية لتخلل لانظارنا ما كانت عليه صناعة الصياغة من البهاء في

القرن الثاني عشر . وإلى ذلك العهد يرتقي صنع النحاس الجميل الملبس الذي حفظ الى اليوم ولكن مما لا شك فيه ان ازدهار هذه الصناعة اقدم من ذلك وان ما نعتز عليه من ذلك التاريخ من الاعلاق النفيسة ليس الا زبدة قرون طويلة وابحاث متصلة . ولقد تساءل بعضهم عن السبب الرئيسي في انتشار صناعة النحاس المحفور ببلاد بين النهرين ولا سيما الموصل . ويؤكد ان يكون ذلك من مجاورة معادن ارغني (١) والخابور وبالقرب من مناجم الخابور جبل مغارات (٢) الذي يستخرج منه النحاس الخام ويذوب ثم ينقل الى جميع بلاد آسيا قديماً .

وتبين من عرض هذه المصانع بعضها في جانب الآخر ان التزويق المحفور في صور بارزة هو اقدم طرق النقش على المصنوعات النحاسية . اما تنزيل الذهب والفضة فلم يحدث الا مؤخراً . وقد تغلبت صور البشر والحيوانات في الموصل مما يدل على ان الصناعة فارسية الاصل حفظ فيها الساسانيون تقاليدهم الصناعية التي يرد عهدها كما قال لونكبريه الى عهد الصور البارزة الاشورية .

وقد ساق البحث المسبو ما كس فان يرشم خل الكتابات التي كتبت على اجمل هذه المصنوعات وقسمها قسمين رئيسين او مجموعتين اساسيتين احدها شرقية انتشرت في خراسان كما انتشرت في الموصل والثانية غربية اي سورية مصرية وهي عبارة عن نحاس صنع في زمن الابوبيين في اوائل القرن الثالث عشر . وكان من غارات المغول ان قطعت زمناً قصيراً سلسلة هذه الاعمال وجاء المماليك في القرنين التاليين فرقوا هذه الصناعة باعمال اتصل بنا عليها وهي كثيرة . واصنع الشام ومصر الا تلاميذ صناع الموصل وبهد تخرجوا .

واذا بحثنا في القلز (النحاس الاحمر) نذهل من رؤية المصانع المنحطة بجبالها مثل صورة العنقاء في بيز التي جلبت من مصر على عهد الصليبيين وصورة الايل من صنع الفاطميين الموجود في متحف الامة في مونتج والحواد المحفوظ في متحف قرطبة والطوس المعمولة على شكل الاوز والمباخر على شكل البيغاء المحفوظة في متحف اللوفر . وما اعجب مصابيح المساجد المصنوعة من القلز والحديد كالتي لا تزال محفوظة في المتحف الاثري في مدريد وقد جيء بها من غرناطة ومثل الموجودة في دار الآثار العربية بالقاهرة المأخوذة من جامع السلطان حسن وكثير امثالها .

اما الاسلحة فلم يجر حتى الآن تنظيم تاريخها ولم يذكر هذا المختصر الذي نحن بصدد

(١) قرية صغيرة من اعراق اربل الى الان

(٢) لعله اراراط وهو جبل الجودي في ارمينية الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام

سوى اشارات موجزة بشأنها . ويرجى ان يطلعنا المسيو موزر ذات يوم على ما وقف عليه وجمعه من الايضاحات بشأن صنع الدولاذ فتكون اعماله مساعدة لنا على تنظيم المعلومات الشبهمة التي حصلنا عليها حتى الآن . ولطالما تكلم الناس عن فولاذ دمشق لغرابته وقابلية . ولما ارسل السلطان يبريس من سلاطين الممالك هدايا سياسية الى باراق سلطان المغول في تركستان بعث اليه بالسلحة دمشقية . ولما استولى تيورنك على دمشق اخذ معه الى سمرقند صناع التولاذ الدمشقي . وقد كان في القاهرة في شارع النحاسين الحالي بين القصرين سوق للسلاح رائجة كثيراً الا اننا لا نعلم شيئاً عن اصل السلحة التي كانت تباع فيها . وليس ثمة ما يدل على انه كان في مصر معامل لصنع نصال الفولاذ وربما كانت تصنع فيها مقابض سيوف واعتماد ويصلحونها على النحو الذي اختاروه وهذا عمل غير عمل نصال الفولاذ ويجب ان يميز عند تدقيق هذه الآثار في المستقبل بين معامل صنع النصال ومعامل تركيبها . ولم يتعرض لذلك كتاب الوجيز ولا يستطيع ان يتكلم الآن الا على المعامل المتأخرة . ومع هذا فقد توصل المسيو بوئين بعد البحث في المقابلة بين النصال الى ان النصال المعمول منها في دمشق . هو مزيج من الحديد والفولاذ وانه في الاغلب من سكب بلاد القرس واذا كانت النصال في الهند ذات لمعة بذو بانها فهي منقوشة بالطريق . وقبل الفتح العربي كانت طليطلة في اسبانيا مشهورة بصنع النصال . وفتح عبدالرحمن الثاني مملكتها (٨٢٣-٨٥٢) ولم يبق ولا حياء اسباني مغربي من قبل القرن الخامس عشر وما بقي منها مما يريد صنعه الى ذلك العهد جيء به من غرناطة . وتاريخ السلحة في بلاد فارس والمملكة العثمانية غريب والمعلومات عنه غريب . وكنا نود ان تكون اغزر مما وصلنا ولكن تاريخ السلحة كما قلت سابقاً لم يوضع بعد .

يعرف من يسبحون في الشرق اسم الخنجر والقائمة ومع هذا لا تجد لها ذكرًا بين الاسلحة العثمانية والفارسية . ولم يقولوا كلمة عن الزمان والمكان الذي استعيط فيه عن السيف الذي المستقيم يصل معوج . وان اسنة الرماح والبنادق والبنجات وقطع الخيل (كوبانها) على خطارتها عند الساسانيين والمصورين بالخلاصة اللطيفة من القرس مما بقي كثير من امثالها في طلي الخلف وقد كان يرجح ان تعرف عنها شيئاً يركن اليه لخطارتها وفائدتها للتاريخ . على انه قد اطلعت على البحث في صنع الاواني الخزفية وهي صناعة جديدة بأن يفاخر فيها . اصلها من فارس وان لم يذكر ذلك المسيو يمين ذكرًا تاماً . وتدل مصانع الانمانيين في سوس على ذلك دلالة صريحة وربما كانت هذه المصانع مبروثة لهم عن الصنائع الاشورية .

وتمتاز مساجد ورامين واصفهان بما جعل على جدرانها من الطلاء الذي يعكس اشعة ذهبية ولكنها عبارة عن قشرة رقيقة من القحاس . ولقد جلبت المربعات الموضوعة الزينة في مساجد سيدي عقبة في القبروان من مدينه بغداد (وهي المدينة التي انشأها العباسيون بتأثيرات فارسية وكان الفرس الذين اتى بهم ابو مسلم هم سبب رفعتها) جلبها الى افرقية مؤسس دولة الاغالبة سنة ٨٩٤ وضعت معامل مدينة الرقة على الثرات بضع قطع سلمت الى هذا العهد وكثيراً من بقايا الخرف . وقد الف المسبوقا ليس عدة كتب للتوسع في البحث عن الاواني المجلوة في فارس واصلها من الري التي كانت تعرف قديماً باسم راجيس . واذ كثر البحث في هذا الموضوع ساء لنا ان نبين تاريخ حدوث هذه الصناعة فقد ذكر احد الباحثين في هذا الشأن واسمه المسبوقاوتوفون فالك في كتابه صناعة الكاشاني القديمان الواح الزجاج الملونة البراقة التي بقيت من القرن الثالث عشر في ايران هي دهان على سطح مستو وان الصفحات التي كتبت عليها كتابات بارزة لم تظهر الا في القرن الرابع عشر . ودامت صناعة التليع خلال القرون الثلاثة التالية وبلغت درجة من التفنن غريبة . وان طبع بعض القطع برفع الحرارة فيها الى درجة عالية قد جعلها كالصيني على ما يقبل ذلك فيها . وقد بدت على عهد المغول تأثيرات الصناعة الصينية فانتشرت صور التنين وابي الهول وغصن الخوخ وهو مزهر وكل ذلك من اصل صيني . دلتنا ما عثر عليه في مصر في سهل القسطاط او مصر العتيقة على ما كانت عليه صناعة الخرف على عهد الفاطميين . واصل نقوشها على الاقل فارسية وان كان صنعها يختلف على ان المواد الاولية هي من مصر نفسها . وقد اثبت الرحالة ناصر خسرو امراً غريباً من الاواني الخزفية ذات الالوان المتغيرة التي شاهدها في القاهرة وهذه الالوان هي من صفات الكاش في الذي يلعب كجد اتصال وعليه فيفهم من ذلك ان نظر هذا السائح الفارسي لم يقع في بلاده على ما يائسها وان ما وجد منها في الري لا يرلني عهده في الحقيقة الا الى اواخر القرن الثاني عشر . على ان ناصر خسرو رحل في الحادي عشر . وتوجد من هذا النوع صناعة شامية مصرية .

وفي داخل مساجد السلجوقيين في قونية وكلها من القرن الثالث عشر صور متأنى في صنعها من المربعات على الكاشاني . وكان محمد بن عثمان المعلم الذي كسا الحوائط بهذا النوع من الفسيفساء (اي الخزف المطلي والكاشاني المقطع) في مدرسة صرت شالو Syrtchalu من مدينة طوس في خراسان وهي المدينة التي اصبحت مدينة المشهد . وفي من ذلك العهد هذا الفرب من الزينة في بورصة والاستانة من البلاد العثمانية .

بدى بالبحث في الكاشاني الاسباني المغربي منذ عهد طويل . وفي سنة ١٨٤٤ اظهره

ويؤكد أمين متحف السيفر للمرة الاولى . اما اليوم فقد ثبت تاريخه احسن ثبوت . والقاهر
ان هذه الصناعة جاءت من بغداد . وربما كان ذلك عن طريق القيروان لا تروا . وتعد
اواني قصر الحمراء من بدائع صناعة مائقة . ويظهر انها نشأت في القرن الرابع عشر وهو
العهد الذي زار ابن بطوطة في هذه المدينة المعامل التي كانت تصنع فيها الاواني الخزفية
الجليلة او الصبني المذهب . والزينة بتصوير الوعول تدل على بقاء شكل قديم لا يتأق
صدوره الا من الشرق .

اما صناعة الاقداح المزينة بالمينا فلا يليق اغفال الكلام عليها لخطورها . وقد كانت هذه
التقودجات من الاقداح في اوائل الفتحوات العربية تستعمل لاعمير على صورة اقراص
النجون الكبير كتبت عليها التواريخ ودرسها المسيو كازانوفا للوقوف على حقيقتها . ثم انك
تجد اكوابا ملونة بضروب الالوان كقوس قزح لطول بقائها في الارض . وربما اختلطت
احيانا بالاكواب القديمة والاكواب التي نقشت عليها صور مطبوعة يرغب فيها ارباب الفن
رغبة خاصة مثل الكاس الصغيرة المرسوم عليها اسود ووعول وقد اقتناها مؤخرًا متحف
اللوفر . وتشير الاقداح المزينة بالمينا ولا سيما مصابيح المساجد المصنوعة من الزجاج التي ربما
كانت مأخوذة عن مملكة الروم البيزنطية الى مهارة صناعاتها الغربية على حين تدل مادة الزجاج
المملوءة بالمخاقيع والعيوب على انها ما كانت يجودتها ابدًا من الطراز الاول . ومن هذه
المصابيح مجموعة فيها ستون قطعة في متحف الآثار العربية في القاهرة وهي اتم مجموعة وجدت .
ومن المحتمل ان هذا الزجاج لم يصنع في مصر حيث اخترع الزجاج على قول سياح الروم .
وتكلم مؤلفو العرب على زجاج صور وذكر الرحالة بنيامين دي توديل ايضا شيئًا عنها وقال
انه صادف ايضا عشرة معامل للزجاج في انطاكية كما قال يعقوب دي فيتري انه رأى منها
في عكا . وقد نقلت هذه الصناعة من صور الى دمشق وفيها رأى الرحالة بوجيومي سنة
١٣٤٦ معامل الزجاج تشغل على طول المسجد الأموي وقد اخذ نيورلثك صناعات الزجاج الى
سمرقند كما فعل بصناع الفولاذ . واثبت كتاب العرب والفرس انه كان في حلب والعراق
معامل للزجاج ايضا .

يتبين من الاقشة العربية انها كانت باديء بدء مصنوعة على حلرز ساساني او قبلي
اورومي ويستفاد من حفريات انصنا (١) ان الاقشة الرومية والقبطية صارت كلها شيئًا

(١) سألنا عن اسم Antinoe احمد زكي بك العالم المصري الشهير فقال انها انصنا من مدن
مصر الوسطى قبالة الاسمنين بركز ملوي من مديرية اسيوط دثرت الآن وقد وردت هذه
لفظة في كتاب البدء والتاريخ فنقلها مترجمة كاتب هذه المقالة الى الافرنسية بافظها العربي

واحدًا بعد وكان التأثير الأساسي فيه مستحكما فإن صور الحروب والصيود وصور الفرسان الذين يعدون مسرعين ويرمون الايائل والظباء بالشباب هي من الكتابات الفارسية . وقد امتلأت ذخائر كناننا بقطع من الاقشة بقيت زمانا لم تعرف البلد التي صنعت فيه وما هي في الحقيقة الا من صنع الشرق في القرون الوسطى . ثم اشتهرت فارس بعد حين بالاطلس والمحمل (القطيفة) المقطع وقد رسمت عليه صور اشخاص وسط الازاهير المشككة واشتهرت مدينة كاشان بصنع الاستبرق والحبر .

ولما فتح السلطان سليمان طوريس اخذ ما يج الحرير الى البلاد العثمانية وانشأ فيها معامل صنعت هذه الاقشة الحريرية والمحمل المكنب واشتهرت باسم حرير بورصة . وانتقلت هذه المصنوعات من آسيا الصغرى الى البندقية وفلورنسة وجين وفرنسا ولم يعودوا يرسمون عليها صور اشخاص وانصرفوا في تزيين الاقشة على الازهار جعلوها بلا معنى وضعي كما في قطع الاواني الخرفية . ويستفاد مما قاله عماري (العالم الايطالي) انه كان في صقلية قبل الفتح الدورماندي فندق فرش بالوشى وكان ملاصقا لقصر الامراء الذين كانوا يحكمون على الجزيرة باسم الفاسمين . ودعت حملات روجر الثاني على بلاد اليونان الى ان يجلب معه الى بلصة صنائع الحرير واسم (مالبانري) الذي يطلق بالفارسية على معامل الحرير جاءها في الاصل من مدينة مان احدى مدن جنوبي بلاد المورة اليونانية .

ولما غلب هرقل خسرو الثاني عثر الجيش الروماني في فخر يزجورد (داسكرات الملك) على طنافس مطرزة بالابرة ووقع في ابدي العرب عندما فتحوا المدائن بسط منسوجة بالذهب والفضة ومرصعة بالاحجار الكريمة . ويعتقدون ان البسط ذات الوبر الكبير من اصل فارسي ومن فارس يجب ان تطلب الا انه لم يبق شيء من تلك العصور المتوغلّة في القدم . ولاجل تنسيق تاريخ البسط رأوا ان يرتبونها بحسب اشكالها والتواريخ التي اعتدي اليها من صور اساليب التصوير الفلامندي والهولاندي والايطالي . واخترع هذه الطريقة البدعة المسمى سيف سنة ١٨٧٧ . وكانت اوريا اذذاك غاصة بالبسط التي تجلبها البندقية وبروج فانين المصورون باطافة الوانها وجودة نقشها وبادروا الى ادخالها في نقوشهم ورسومهم . ويظهر ان البساط القديم المزين بالصور على اسلوب بديع الذي دخل مؤخرًا سيفه ملك متحف الامبراطور فريدريك في برلين واهتم به كل من الميسو كاراباسيك والميسو ريچل كان اصله من قونية من مخلفات سلاطين السلجوقيين الذي حكموا فيها فهو مما صنع في القرن الثالث عشر . اما البسط الجمجمة المرسوم عليها صور الطيور فانها من بدائع ما حاكمه كبار صنع الابدعي . وكذلك الحال في البسط المنقوشة بالازمار الكبيرة ومصابيح المساجد والوانية

فانها توالف مطبقة بديعة ايضاً وعلى العكس في البسط المزينة بصور مهندسة فانها من مصنوعات آسيا الصغرى وما زالت الى اليوم كل من مدينتي جورودس و *Guerudes* وعشاق من مواكرها العظيمة .



وبعد قبل من الممكن ان تشير الى ما اثرته الصناعة الاسلامية في صنايع الغرب . نعم اذا اريد بذلك جمع الصنايع الماضية صبرة واحدة وتوحيدها كلها معاً على نحو ما كانت على عهد الفتح العربي وكما يحدث ابدأ عند ما نشأ تلك كبيرة منسعة . واذا بدل هذا الفتح وجه الشرق كان الداعي الى اختلاط آسيا العليا بالغرب في عدة اماكن . وانك لتجد النقوش المسماة (هوم) بلا داع وقد رسمت عليها الشجرة المقدسة او حياة الاشوريين على نحو ما اقتبسها الساسانيون سواء كانت وحدها او جعل على جانبيها حيوانات فائقة او رابضة وكذلك الطريقة القديمة في صراع الحيوانات .

ولقد كانت سفن العرب تتقدم الى البحر الانلانتيكي منذ عهد الاسرة الكارولنجية (١) فحملت نقود الامويين بواسطة الصلات التجارية الى روسيا وبولونيا والدانيرك والسويد ووجدت النخبة مكتوب عليها كتابات كوفية محرفة في اطر ابواب الكنائس في نوردام في بوى اقال في كنيسة فوت شيهان الفرنسيتين وعلى كثير من المصانع وفي بعض الحال كما عثر على مثل ذلك في ابراج كاتدرائية شارتر ونقل المصورون بعض الصور الشرقية بالحرف . يرى الميسو ميخون ان يدرس صناعتنا تلك الصنايع لانها بقوة جمال اشكالها ودقة وضعها وصنعها المعقول ولعان ألوانها ليس لها ما يشبهها بكثرة الصور واللفظ السامي . وقد حارب بعضهم تقليد تلك الصنايع فافلحوا في اقتباسها على نحو ما فعلوا في قباب زاوية قصر المعرض العام سنة ١٨٨٩ فوضعوا فوق الحديد الذي يحول بين الاقسام واتخذوه حيطاناً مصفحات من الكاشاني ذي النقوش الفارسية فكانت بذلك اول تجربة نجحت في هذا السبيل .

كان بذخ ملوك المسلمين من الدواعي للصناع ان يرقوا الاساليب التي كانوا يأخذونها تقليداً عن اجدادهم شفاهاً فجددوها ولفنوها فيها فارتقت مع عدة اشكال قديمة بعضها من اصل بيزنطي وهي وارثة اليونان ورومية والاخر ساساني من اخلاف الدولة الاسخمانية ولا سيما (في الامور الصناعية) واشوري او بابلي . ارتقت عدة فروع من الصنايع الاسلامية المتنوعة الاساليب وهي ليست من اصل بيزنطي ولا فارسي فيفضل بعضهم الزين المهندس او النقوش التي تجمل على هيئة النباتات والاوراق وهو النمط الوحيد الذي بقي في الحقيقة

حيث تأصل مذهب أهل السنة . ويمزج بعضهم فيه صور حيوانات ذات روح وهذه ينبغي نسبتها في أكثر الأحوال إلى تأثير فارس . ومن درس الصنائع القابلة للتشكل والتحول كالمهندسة والصنائع اليدوية لتخلل لعينيه القرون الوسطى في الشرق بما أتى به من تمدنه الخاص وما هو إلا مثال المجتمع الذي أوجده القرآن في صورة ظاهرة مؤثرة . فإذا أضيفت إلى ذلك أقوال المؤرخين والجغرافيين لا تلبث أن تطلع على هذا النظام الاجتماعي الذي يختلف من عدة وجوه عن نظامنا وكان ثقلاً على أوربا كما كان صلة بين العصور القديمة والعصور الحالية .

المسلمون والذميون والمعاهدون^(١)

الاحساس دليل الحياة

التضامن رائد العمران !

يا بني أمي ! ويا بني عمي !

تدبروا رعاكم الله فيما ترونه عن أيمانكم . وتبصروا فيما تبصرونه عن شمالكم . وتفكروا فيما بين أيديكم . ثم خبروني ماذا تجدون ؟

تجدون الشعور القومي قد تجسم مناه . حتى كادت اليد لتفترقه . والعين تراه . والاحساس لعمري دليل على الحياة .

ثم ثوبوا إلى أنفسكم وانظروا كيف كنا إلى عهد قريب متنافرين متفككين لانتمسك بجبل متين من جهة الدنيا أو من جهة الدين حتى قال فينا فيلسوف المشرق : اننا انفقنا على أن لا نلتحق . .

فاليوم أحمد الله اليك يا بني مصر فقد أراد بكم الخبر اذ وفقكم إلى سبيل الاتفاق .

اليوم بدأنا نطرح تلك الأهواء التي جعلتنا شيعاً منفردة . أسعقنا الله ! بل جعلت كل فرد منا منفصلاً بنفسه منفصلاً عن سائر بني جنسه .

اليوم بدأنا نخالف ما ألقناه من تلك الاختلافات التي علمتنا إغاليين العداوات وعشبت بكيان الأمة .

(١) هي خطبة القاها في دار التمثيل العربي أحمد بك زكي من كبار علماء الأزهر يوم ٢٩ - غر

سنة ١٣٢٦ هجرية الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٠٨ ميلادية و ١٧ برمات سنة ١٦٢٤ قبطية